# معركة الجماعة والفصائل

# 1

في ظل غياب جماعة المسلمين التي تضمّهم، وغياب الإمام الذي يقيم فيهم شرع الله، ويقاتلون من خلفه، وجد المسلمون في الفترات الماضية في الأحزاب التي كانت تزعم أنها تعمل لإقامة الدّولة الإسلاميّة حلاً مؤقتاً يتمكّنون خلاله من الاجتماع في إطاره، وتنظيم جهودهم وحشد طاقاتهم في سبيل العودة بالأمة إلى وضعها الطبيعي، وهو إقامة جماعة المسلمين التي تضمّهم جميعاً ويحكمها الإمام الواحد بشرع الله عزّ وجل.

وبسبب الاختلاف الكبير بين مؤسسي هذه التنظيمات والأحزاب عقديّاً ومنهجيّاً بل وحتّى نفسياً، انعكس هذا الاختلاف على أحزابهم، فسادَ الصراع والنزاع بدل الائتلاف والاتفاق، رغم أن كل هذه الجماعات تدّعي أنّ لها الهدف نفسه، وزاد من حدّة هذه الخلافات تدخّل الأطراف الخارجية وعلى رأسها أجهزة المخابرات التي نجحت في التسلل إلى هذه الأحزاب محدثةً في صفوفها اختراقات على مستوى القيادات غالباً، فتحولت الخلافات إلى صراعٍ وتنازعٍ فيما بينها، وتحوّلت هذه الأحزاب إلى همٍّ جديد يضاف إلى هموم هذه الأمّة المثقلة بالجراح والنكبات.

وما قام المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يوماً ضد طاغية، إلا وتقدّمت الأحزاب أمامهم تطلب الزعامة والقيادة، ثم تنافست فيما بينها على هذه الزعامة، لتضيعَ ثمرة تضحيات مئات الألوف من القتلى والأسرى والمكلومين، وتدوسَ على جراح ملايين المشرّدين والمهجّرين.

ويسعنا في هذا المقام ضرب أمثلة قليلة، لتوضيح هذه الحقائق.

## النموذج الأول: أحزاب أفغانستان

في عام ١٤٠٠ هـ دخل السوفييت واحتلوا أفغانستان بشكل مباشر للحفاظ على سلطة الشيوعيّين فيها بعد سلسلة من الاضطرابات التي قمعها الشيوعيون بشدّة، وراح ضحيّتها أكثر من عشرة آلاف قتيل وعشرات الآلاف من اللاجئين، ليبدأ عندها قتال السوفييت المحتلّين وعملائهم من الأحزاب الشيوعيّة الأفغانيّة من قبل الأهالي، وتشكّلت الكثير من المجاميع لقتال الشيوعيّين على امتداد أفغانستان، منها ما أنشئ على أساس قبَلي فقادها الزعماء القبليّون، ومنها ما أنشئ على أساس ديني فقاد بعضها المرتدون من أصحاب الطرق الصوفيّة، وقاد أخرى رجال الحوزات الرافضيّة، فيما ارتبط كثير من المجاميع بالأحزاب المتفرّقة الموجودة في بيشاور، وشيئاً فشيئاً استقرّت الساحة على مجموعة من الأحزاب الكبرى التي كان لكلٍّ منها ارتباطه الدولي، ومصادر التمويل الخاصّة به.

وقد لعب الصراع بين هذه الأحزاب والفصائل دوراً كبيراً في إطالة أمد الحرب ضد الشيوعيّين، وفي تأخير النصر، وإدامة الحرب التي أهلكت ما يقارب من مليوني نفس من الأفغان، ودفعت ٥ ملايين إلى النزوح واللجوء إلى باكستان وإيران، فكلما سيطر فصيل على جزءٍ من أرضٍ انسحب الشيوعيون منها منع الفصائل الأخرى من المرور من منطقته، أو أخذ منها ضرائب باهضة لقاء السماح بمرور قوافلها، أو الاعتداء على هذه القوافل وسلبها إن امتنعت عن دفع هذه الضرائب، ممّا دفع مقاتلي الفصائل إلى السير أحياناً مئات الأميال للابتعاد عن مناطق سيطرة هذا الفصيل أو ذاك ممّن ينافسهم على النفوذ والسيطرة، هذا عدا عن الخيانات المتبادلة بين هذه الأحزاب في المعارك المشتركة ضد الشيوعيّين، إذ وصل بهم الأمر أن يفضل بعضهم انتصار الشيوعيّين في سبيل تكبيد خصمه من الحزب الآخر خسائر باهضة في الأرواح فيضعفه بذلك.

وبعد انهيار النظام الشيوعي إثر انسحاب الجيش السوفيتي الذي بدأ عام ١٤٠٩هـ بعد الاستنزاف الكبير الذي تعرّض له، تأخّر فتح كابول أكثر من ١٥ يوماً، لا لسبب إلا النزاع بين هذه الأحزاب على أسبقيّة الدخول إلى المدينة وبالتالي نيل زعيم الحزب لقب (الفاتح)، وأيضاً للسيطرة على مفاصل العاصمة وبالتالي الهيمنة على الحكومة المستقبلية، بالإضافة إلى الرغبة في تصفية الشيوعيّين داخل العاصمة من المرتبطين بالأحزاب الأخرى، وحماية المرتبطين بحزبه، حيث تورّطت معظم هذه الأحزاب بالعلاقة مع الضبّاط الشيوعيّين داخل كابول قبل فتحها، أولئك الضبّاط الذين قام كلٌّ منهم بخدمة الحزب الذي وعد بتأمينه، بل وحاول بعضهم القيام بانقلابات ضد الرئيس الشيوعي (نجيب الله) بدعم وتحريض من هذا الحزب أو ذاك.

ودخلت الأحزاب إلى كابول في عام ١٤١٢ هـ، وأُعلن عن تشكيل "حكومة المجاهدين" التي لم تستمر سوى أسابيع قليلة، ليبدأ القتال بين الأحزاب الذي استمرّ ثلاث سنوات، وراح ضحيّته أكثر من خمسين ألف نفس معظمهم من أهالي كابول الذين لا ناقة لهم ولا جمل في هذه الحرب، وتغيّرت وجهة القتال أكثر من مرّة وتغيّرت التحالفات بين الأحزاب أيضاً، فالحزب المعادي اليوم قد يتحوّل غداً إلى حزب حليف على حزب آخر وهكذا، وزاد الانقسام في المناطق، وزادت سطوة عناصر الأحزاب على الناس، سلباً للأموال وانتهاكاً للأعراض وإزهاقاً للأنفس، حتى كرههم الناس وتمنّى كثير منهم عودة الحياة الآمنة، فقادة الأحزاب لا شريعةً أقاموا ولا تركوا الناس يهنؤون بعيش.

ولم يحسم أيٌّ من هذه الأحزاب المعركة لصفّه حتى ظهر حزب جديد على الساحة ليقاتل الأحزاب جميعاً وهو حزب (الطالبان)، الذي لقي الدعم الشعبي الكافي، حيث دخل في طاعتهم بعض زعماء الأحزاب، بعد إعلان (الطالبان) إقامة (الإمارة الإسلاميّة) وطردهم الأحزاب من العاصمة كابول، فيما قاتلهم أكثر الأحزاب، إلا أن (الطالبان) تمكّنوا من هزيمتهم مجتمعين، واستمروا في مطاردتهم إلى أقصى شمال البلاد، حيث توقفوا عن محاربة بعضهم، وشكلوا تحالفاً مشتركاً ضد هذا الحزب الجديد، فلمّا عجزوا جميعاً عن هزيمة (الطالبان) لجؤوا إلى طلب المساعدة من روسيا وإيران والدول الأوروبية وأمريكا، الذين أمدّوهم بالمال والدعم، الذي لم يكن كافياً لحسم هذه المعركة.

ومع قدوم الصليبيّين لاحتلال أفغانستان لم يجدوا أفضل من هذه الأحزاب ليعملوا تحت إمرتهم، فانضمّ معظمهم إلى التحالف الصليبي، إما مقاتلين يمشطون المناطق التي تقصفها الطائرات الصليبيّة، وقد ارتكبوا المجازر بحق أعدائهم من (الطالبان)، وحلفائهم من المهاجرين، أو مشاركين في العمليّة السياسيّة التي نظّمها الصليبيّون لإدارة البلاد في ظل الاحتلال، وهكذا تحوّل زعماء الأحزاب الذين خرجوا يوماً ما لقتال المحتل الكافر الشيوعي، إلى عملاء للمحتل الكافر الصليبي.

أما حزب (الطالبان) فقد استمر في قتال الأمريكيين لأكثر من عقد من الزمن، هم وحلفائهم من الجماعات والفصائل الأخرى في أفغانستان وباكستان، ومع إعلان الأمريكيين عن قرب انسحابهم، كثُر الحديث عن مفاوضات تجري بينهم وبين الحكومة المرتبطة بالصليبيّين، حيث أن المشروع الأمريكي يقضي بتشكيل حكومة "وحدة وطنيّة" تجمع حزب (الطالبان) وأحزاب (حكومة كابول)، وبالتالي ضم مقاتلي الحزب إلى "الجيش الأفغاني"، وإذا ما تمّ هذا الأمر فإن حزب (الطالبان) سيكون بذلك قد انضمّ إلى جملة الأحزاب التي دخلت في صف الحكومة الأفغانية المرتدّة، وليس هذا مستبعداً عن قيادة الحزب الجديدة التي أخفت عن الجنود نبأ مقتل أميرهم (الملا عمر) لأكثر من عامين، وقادت الحزب باسمه، مصدرة البيانات والقرارات بتوقيعه، فاتحةً الباب للعلاقة مع طواغيت جزيرة العرب وإيران، مقدّمةً وفي أكثر من مناسبة التطمينات لطواغيت العرب والعجم أن حزب (الطالبان) معنيٌّ فقط بقتال الأمريكيين داخل أفغانستان وأنّهم لن يتدخّلوا في شؤون البلدان الأخرى، قاصدين بذلك عدم جهاد هؤلاء الطواغيت في حال وصولهم إلى الحكم في (كابول)▪




# معركة الجماعة والفصائل

انطلقت تجربة الجهاد في العراق، مشابهة في كثير من الأوجه لتجربة الجهاد في خراسان (أفغانستان)، فدخول العدو الأجنبي كان المحرّض الرئيسي للتحرّك المضاد الفوري من قبل فئات مختلفة من أهل البلاد للتصدّي لهذا الغازي الغريب، وهذا التحرّك أخذ كما في الحالة الأفغانيّة شكل تحرّك غير منظّم أو مؤطّر بأحزاب أو فصائل كبيرة، وإنّما على شكل مجاميع صغيرة مبعثرة، كلٌ منها بدأ القتال بما وقع بيده من سلاح هو في الغالب من بقايا جيش الطاغوت (صدّام حسين)، وكانت هذه المجاميع مشتّتة من حيث العقائد والأفكار والرؤى المستقبليّة، لا يجمعها جامع إلا التوحّد على هدف واحد هو قتال العدو الأمريكي، وإن اختلفت نظرتهم لهذا العدو، بناءً على منطلقات كل مجموعة من المقاتلين، إسلاميّة تقاتل كافراً صليبيّاً، أو وطنيّة تقاتل مستعمراً يحتل وطنها، أو بعثيّة تقاتل لاسترجاع حُكم سُلب من طاغوتها، أو عروبيّة تحملها القيم على قتال المحتل، أو حتّى نفعيّة رأت في بعض القتال للعدو فرصة للبروز وتحصيل المكاسب الماليّة والسياسيّة، إلى غير ذلك من المآرب والغايات.

وقد وصف الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -رحمه الله- هذه المرحلة من العمل وحال المقاتلين للصليبيّين في الساحة العراقيّة بقوله: "أكثرهم قليلو الخبرة والتجربة، وخاصّة في العمل الجماعي المنظّم، ولا شكّ أن ذلك بسبب نتاج نظام قمعي، عسكَرَ البلد، ونشر الرعب، وبثّ الخوف والوجل، ونزع الثقة بين النّاس، ولذلك فأكثر المجاميع تعمل منفردة، من غير أفق سياسي، أو بعد نظر وإعداد لوراثة الأرض، نعم الفكرة بدأت تنضج، وعلا الهمس الخفيف ليصبح حديثاً صاخباً عن وجوب التجمّع وتوحيد الراية، لكن الأمور لا زالت في بواكيرها، ونحن بحمد الله نحاول إنضاجها سريعاً" (رسالة من الشيخ أبي مصعب الزرقاوي إلى الشيخ أسامة بن لادن رحمهما الله - ١٤٢٤ هـ).

## التجميع والتحزّب

كما في كلّ التجمّعات البشريّة، فإن التجمّعات المقاتلة في العراق التي كانت أكثر قابلية للبقاء، هي الأقوى فكراً وعقيدةً، والأفضل تنظيماً، والأكثر إمداداً بالموارد، والأقدر على اغتنام الفرص وتجنب الكوارث، ولكن في جانب الجهاد في سبيل الله تبقى القاعدة الأساسيّة في البقاء والانتصار هي قوله تعالى (والعاقبة للمتّقين).

وعلى أساس القواعد البشريّة السابق ذكرها، بدأت عملية الاصطفاء للفصائل والأحزاب، حيث بدأت المجاميع الصغيرة تذوب في تجمّعات أكبر على أسس عشائريّة (في المناطق الريفيّة خاصّة)، أو مناطقيّة كالأحياء والمجمّعات السكنيّة (في المناطق الحضريّة عموماً)، أو على أسس دينيّة (الاجتماع حول أحد المشاهير من الدعاة والخطباء وأئمة المساجد بل وحتى أصحاب الطرق والزوايا الصوفيّة)، أو على أسس حزبيّة، ولو كان هذا الجانب ضيّقاً بحكم ضعف الوجود الحزبي في فترة حكم (صدّام)، كما نشأت في الوقت نفسه تجمّعات على أساس جهادي حقيقي قادها في الغالب شباب لهم تجارب جهاديّة سابقة سواء في العراق (ضد الطاغوت صدّام حسين، أو ضد طواغيت الأحزاب الكرديّة)، أو خارجه (في الشام وخراسان على وجه الخصوص).

وشيئاً فشيئاً بات التوجّه السائد على الفصائل والجماعات هو الارتباط بأسماء أو شعارات توحي بأنّها فصائل "إسلاميّة" رغم أن معظمها أطلق على قتاله للأمريكيين لقب "مقاومة عراقية" بدلاً من تسميته "جهاداً في سبيل الله"، وباتت هذه الفصائل تمثّل صورة مصغّرة عن الأحزاب الشائعة الانتشار في كل مناطق المسلمين الأخرى، فالإخوان بشقّيهم (الدولي والعراقي) وجدوا لأنفسهم تيّاراً من الفصائل يقاتل الأمريكيين تحت رايتهم، وينطقون باسمه، طالبين بذلك التمثيل السياسي لأهل السنّة في لعبة الديموقراطيّة الأمريكيّة وتقاسم الحكم مع الرافضة وعلمانيّي الأحزاب الكرديّة، والسروريّة (بوصفهم نسخة معدّلة من الإخوان) تمكّنوا بعد تحصيلهم للدعم من بعض الشخصيّات والجمعيات في جزيرة العرب من حشد كمٍّ كبير من المجاميع تحت جناحهم، يقاتلون باسمهم لقاء الدعم والتمويل، وإن كان تيّارهم مقسّماً بارتباط كل قسم بأحد الشخصيّات التي تحصّلت على الشهرة قبل الاحتلال أو بعيده، كما استطاع الصوفيّون من تجميع أنفسهم نوعاً ما وارتبطوا بزعماء طرقهم أو بقيادات من حزب البعث.

وقد تمكن المجاهدون القدماء أيضاً من تجميع صفوفهم نوعاً ما، مرتبطين بالمجاهدين في ساحات أخرى وعلى رأسها آنذاك خراسان وجزيرة العرب، حاشدين إليهم المهاجرين على وجه الخصوص، بالإضافة إلى كمٍّ من الأنصار الذين دُعوا إلى الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

لقد كانت هذه الأحزاب والتجمّعات نتاج أسباب عديدة منها الاختلاف العقائدي والفكري، والنزعات الوطنيّة والعشائريّة، وحب الإمارة وتقديس الزعماء، والتدخّلات الخارجيّة التي تشرف عليها -ولا شك- أجهزة مخابرات الطواغيت في دول الجوار، بالإضافة لاختلاف الغايات والرؤى حول مستقبل الجهاد في العراق وما يراد منه.

## الربيع القصير للأحزاب

بعد فشل تجميع الأحزاب على قاعدة (واعتصموا بحبل الله جميعاً)، استمرّ قادتها في محاولة استمالة الأحزاب الأصغر حجماً إليهم، سواء على أسس التقارب العقدي والفكري، أو على أساس الدعم المادي والنفوذ، متجنّبة في الوقت نفسه الصدام مع الأحزاب الكبيرة المنافسة، في ظل انتعاش كبير للعمل العسكري ضد الأمريكيّين، وفي الوقت نفسه زاد التمايز بين الأحزاب وزادت جرأة قادتها في الإفصاح عن عقائدهم ورؤيتهم لمستقبل العراق وللثمن الذي يريدونه من قتالهم، بل وزاد وضوح الارتباطات الخارجية لهذه الأحزاب، فصار من المألوف حضور قادة أحزاب الإخوان وممثليهم ومشاركتهم في فعاليات التنظيم الدولي أو فروعه في الدول المجاورة للعراق، بل إنّ أمراء الفصائل المنتمية للتيار السروري باتوا يتجولون في جزيرة العرب بِحُريّة يلتقون شيوخ هذا التيّار، ويتلقّون الدعم منهم ومن الجمعيّات المرتبطة بهم (تحت أعين أجهزة مخابرات الطواغيت ولا شك)، أما المجاهدون القدماء لم يعد سرّاً ارتباطهم بتيّار الجهاد العالمي، خاصّة بعد إعلان (قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين) في شعبان ١٤٢٥ هـ بناء على بيعة مشروطة من أمير (التوحيد والجهاد) الشيخ أبي مصعب الزرقاوي للشيخ أسامة بن لادن -رحمهما الله- تتضمّن (قتال طوائف الردّة) وعلى رأسهم الرافضة والجيش والشرطة، خلافاً لرؤية تنظيم القاعدة (الدولي) التي تتمحور حول حصر القتال في العالم كلّه ضدّ أمريكا والدول والأنظمة الحليفة لها.

## الطريق إلى الجماعة ملغّم بالأحزاب

فشلت كل محاولات تجميع الأحزاب، بل وحصل التباعد الذي كان يزداد يوماً بعد يوم بافتضاح حقيقة مشاريع كثير من الأحزاب المخالفة للشريعة، وارتباطاتهم المفضوحة بالطواغيت في دول الجوار وعملائهم الرسميّين وغير الرسميّين، بل وتجهيزهم للانقضاض على المشروع الجهادي الحقيقي، بإطلاق حملة إعلاميّة مكثّفة تستهدفهم، مركّزة على جانب قتال المجاهدين لطوائف الردّة من الرافضة وعناصر الجيش والشرطة والأحزاب العلمانيّة والمشاركين في العمليّة السياسيّة الشركيّة، مميّزين أنفسهم عن المجاهدين بلقب جديد ابتدعوه هو

"المقاومة الشريفة"، ويقصدون بذلك الفصائل والأحزاب التي لا تقاتل طوائف الردّة السابقة، بعد أن ابتدعوا حكماً ما أنزل الله به من سلطان هو "حرمة الدم العراقي"، وفي الوقت ذاته كانت قبضة الجيش الأمريكي ترتخي أكثر فأكثر، وضعفها يزداد وضوحاً خاصة بعد معارك (الفلوجة)، وباتت كل الأطراف ترى أنّ انسحاب الأمريكيّين سيولّد فراغاً يجب ألّا يملأه غيرهم.

فسارع المجاهدون بالسعي إلى إقامة الجماعة بمن حضر من المسلمين، وعدم تعطيل هذا الواجب لتأخّر من تأخّر، وانتظار رضا من لن يرضى، فاجتمع عدد من الفصائل أكبرها (قاعدة الجهاد) في إطار (مجلس شورى المجاهدين) التاريخ، ثم استُقطب بعض شيوخ العشائر المناصرين للمجاهدين في إطار أكبر سمّي (حلف المطيّبين) التاريخ ، وذلك في خطوة لتحقيق الهدف الحقيقي، وهو إقامة جماعة المسلمين بإعلان قيام (دولة العراق الإسلاميّة) التاريخ ، وتنصيب إمام لهم ومبايعة الشيخ (أبي عمر البغدادي) رحمه الله أميراً لها، والذي اتّخذ من أمير (قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين) الشيخ (أبي حمزة المهاجر) رحمه الله وزيراً له.

ولقد عرف قادة الفصائل وزعماؤها أن إعلان (الدولة الإسلاميّة) في رمضان ١٤٢٧ هـ هو حكم ببطلان شرعيّة الانتماء إلى فصائلهم، ونهاية لمشاريعهم التي سوّقوها من خلال هذه الفصائل، فكان رفض الدخول في الجماعة والانضمام إلى (الدولة الإسلاميّة) وبيعة أميرها أول ردّ لهم، وفي تبريراتهم لذلك مذاهب شتى، فمنهم من طلب الإمارة لنفسه بزعم أنّ فصيله هو الأقدم في العمل على أرض العراق، ومنهم من طالب الدولة الإسلاميّة بالانضمام إلى فصيله لكونه الأكبر على الساحة حسب ادعائه، ومنهم من طلب خضوع الدولة الإسلاميّة له على اعتبار أن فصيله يقاد من "العلماء" و"طلبة العلم"، ومنهم من خاف على "الوحدة الوطنيّة" من مشروع الدولة الإسلامية كونها سترعب شركاءه في "العمليّة السياسيّة"، ومنهم من خاف من "تمزّق العراق" على اعتبار أن الدولة الإسلامية قامت في العراق في المناطق التي يكثر فيها أهل السنّة، وبذلك سينقسم العراق بعد عزل الرافضة والأحزاب الكرديّة العلمانيّة المناطق التي تحت سيطرتهم، وغير ذلك من التبريرات التي أقاموها على مزاعم وادّعاءات ما لهم عليها من برهان ولا بيّنة، ولا هي مما يقبل الاحتجاج به للاستمرار في تفريق جماعة المسلمين.


معسكرات دولة العراق الإسلامية في الصحراء بعد انحيازها من المدن

## العاقبة للمتّقين

في خضم الصراع من أجل البقاء، صار هدف إسقاط (الدولة الإسلاميّة) لدى الأكثرية الساحقة من الفصائل مقدّماً على إخراج الأمريكيّين من العراق، وبذلك استطاع طواغيت العرب أن يجروهم إلى المشروع الأمريكي، وفي النهاية انهارت هذه الفصائل من حيث ظنّت أنّها تحمي وجودها وتعزّز من قوّتها، ومر هذا الانحراف بمراحل متعددة أهمها:

١) تشكيل جبهات الضرار: وهو اسم أطلقه أهل التوحيد على الجبهات التي شكّلتها الفصائل لتجميع صفوفها، وشابهت في أهدافها مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ليصدّوا عن سبيل الله، وكذلك الفصائل أنشأت التجمّعات التي أطلق عليها "الجبهات" كمشروع لتوحيد الصفوف بديل عن الدولة الإسلاميّة، فتصدّ بذلك الأفراد والفصائل عن الانضمام إلى جماعة المسلمين في العراق وإمامهم، كما كان لهذه الجبهات هدف آخر هو تجميع وحشد القوى استعداداً لأي صدام مع الدولة الإسلاميّة، فاجتمعت الفصائل التي تتبع قادة التيار السروري الموجودين تحت ظل طواغيت جزيرة العرب (جبهة الجهاد والإصلاح)، والفصائل التي تتبع قيادات الإخوان في (جبهة الجهاد والتغيير)، كما ارتبطت الفصائل والتجمعات الأصغر سواء منها المرتبط بحزب البعث أو غيرها في جبهات وتجمعات أخرى.

٢) حملة التحريض والتشهير: التي شارك فيها قيادات الفصائل العراقية الذين فتحت لهم الفضائيات أبوابها وأجريت معهم اللقاءات، وكذلك شيوخ السوء ودعاة الضلالة الذين يوجهونهم من وراء الحدود، وكانت حملة التحريض والافتراء على الدولة الإسلاميّة، واتّهامها بالغلو والإجرام مقدّمة للحرب التي كان يجري التحضير لها من قبل أجهزة مخابرات الطواغيت في دول الجوار بالتنسيق مع الأمريكيّين والرافضة، وبمشاركة الفصائل.

٣) إطلاق مشروع الصحوات: الذي كانت له واجهات عشائرية، حيث قامت مخابرات آل سلول وطاغوت الأردن بشكل خاص على ربط بعض المرتدّين من شيوخ العشائر بالأمريكيّين وتمويلهم لمحاربة الدولة الإسلاميّة على وجه الخصوص.

٤) دخول الأمريكيّين في مفاوضات مع الفصائل: حيث اقتنع قادة الأحزاب والفصائل بعدها أنّ الأمريكيّين قاب قوسين أو أدنى من الخروج من العراق، وأنّهم إن دخلوا في المشروع الأمريكي فسيكون لهم دور كبير في المرحلة اللاحقة، فأطلق قادة الفصائل شعار (أخطر الاحتلالين) للإشارة إلى الإيرانيّين، باعتبار أن احتلالهم للعراق أشد خطراً من الاحتلال الأمريكي، ليبرّروا بذلك تعاونهم مع الأمريكيّين، ذلك التعاون الذي أعلنوه ضد إيران، كان موجّهاً في الحقيقية ضد الدولة الإسلاميّة، حيث كانت الفصائل ذاتها تهاجم من يحارب أدوات المشروع الإيراني في العراق وهم الرافضة وجيشهم وشرطتهم تحت مزاعم "حرمة الدم العراقي" و"المقاومة الشريفة".

٥) بانطلاق الحرب الشاملة ضد الدولة الإسلاميّة، وجدت الفصائل أنّها وقعت في الفخ الذي نصب لها من قبل أمريكا وحلفائها من رافضة العراق وإيران وطواغيت الأردن وجزيرة العرب، فالمشروع بمراحله المتعددة يهدف إلى تصفية هذه الفصائل لصالح الصحوات العشائرية في الوقت ذاته الذي تجري فيه الحرب للقضاء على الدولة الإسلاميّة، ومع بدء هذه الحرب، وجدت الفصائل نفسها ضحيّة استنزاف من جهتين، الأولى خسائرها البشريّة والماديّة في القتال ضد الدولة الإسلاميّة التي تمكّنت من النكاية فيها رغم الجراحات الكبيرة التي أصابتها، والثانية من تسرب مقاتليها إلى صفوف الصحوات، حيث الدعم المالي الأكبر والوعود الأمريكية بالعفو عنهم، والآمال بضمّهم إلى الجيش العراقي، وغير ذلك من الأسباب.

وفي النهاية، تمكّن أعداء الدولة الإسلاميّة من توجيه ضربات موجعة لها بعدما وجد جنودها وأمراؤها أنفسهم ضحية لكمائن الصحوات وإنزالات الأمريكيّين وتربّص الفصائل، فاضطروا للانحياز من مناطق تمكينهم، بعدما ضاقت بهم الأرض بما رحبت، وخسروا الآلاف من المجاهدين ممّن نكّلوا بأمريكا والروافض وحلفائهم لسنوات.

وهكذا وجد الأمريكيّون أنفسهم للمرّة الأولى قادرين على التفكير بالانسحاب بسلام من العراق بعد أن يسلموه للروافض، حيث استطاعوا بضربة واحدة إضعاف الدولة الإسلاميّة وتفكيك معظم الفصائل التي جرّت على نفسها الدمار بانحراف قادتها وغبائهم وحرصهم على الإمارة، من حيث ظنّوا أنهم يزيدون من قوّتهم ونفوذهم.

فبات العراق بيد الروافض، واستطاع المرتدّون من قادة الصحوات أن يجنوا لأنفسهم بعض المكاسب، قبل أن ينقلب عليهم الروافض بخروج أمريكا التي كانت تحميهم، ويمزّقوا صفوفهم سجناً وتقتيلاً وتشريداً.

أما قادة الفصائل، فبعد ما جرّوه على الأمّة، وعلى فصائلهم، وعلى أنفسهم من الثبور، طفقوا يتبرؤون من فعال بعضهم البعض، ويتقاذفون التهم، قبل أن تستقر بهم الأمور لاجئين يستوطنون الفنادق في الشام وتركيا وجزيرة العرب، يتسولون الظهور في شاشات الفضائيّات، ويعرضون خدماتهم في أي مشروع خياني جديد في العراق.

وأبقى الله الدولة الإسلاميّة رغم انحيازها إلى البوادي، وتعرّضها للبأساء والضراء والزلزلة، وصبر جنودها على الخوف والجوع والنقص في الأموال والثمرات، ليستعملهم في ساحات أخرى من أرضه تطلب فيها مرضاته، ويسعى فيها المجاهدون لإقامة دينه وتحكيم شرعه، بعد أن عرفوا أهمية الجماعة للأمة ومصيبتها في التفرق والفصائل ▪




مما يميّز الشّام عن غيرها من الساحات، أنّ الصراع بدأ مع الطاغوت وليس في البلاد أي فصائل أو أحزاب أو تجمّعات حقيقيّة، وهذا الأمر كان فألاً حسناً -ولا شك- لو أمكن توجيهه إلى تكوين جماعة المسلمين التي تخوض الجهاد ضد الطاغوت صفّاً واحداً، ولكن تأخُّر المجاهدين في إدراك المدى الذي سيبلغه الصراع، وشدة القبضة الأمنيّة للنظام النصيري، أدّيا إلى التأخر في إثبات المجاهدين حضورهم على الأرض، حيث كانت الفصائل قد بدأت تتشكّل، ووجد كلٌ منها لنفسه بوّابة لتلقّي الدعم، ما أجبر جنود الدولة الإسلامية على دخول الساحة رغم تشابكاتها وعدم وضوح أطراف النزاع فيها، ومحاولة تأجيل الصراع مع الأطراف المعارضة للنظام.

## التنسيقيّات أول أشكال التجمّعات في الشام

مع بداية العمل المضاد للنظام النصيري الذي غلب عليه نشاط المظاهرات والاعتصامات، ظهر مصطلح التنسيقيّات، كتسمية باتت مجموعات من "الثوار" تطلقها على نفسها، هذه التنسيقيّات كانت تقوم بعمليات حشد المتظاهرين وتنظيم المظاهرات وتغطيتها إعلامياً عن طريق التصوير والنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، لتكتسب مع الوقت صفة الواجهة الإعلامية وحتى السياسيّة للمتظاهرين الذين تدفعهم الحماسة والحميّة للمشاركة في التظاهرات والقبول ببروز "قادة الحراك الثوري" على أكتافهم، فالفكرة السائدة لديهم أن هذه المظاهرات وهذا "الحراك الثوري" سيسقط النظام النصيري خلال أسابيع أو شهور على حدٍّ أقصى.

مع استمرار حالة "الحراك الثوري" لفترة طويلة من الزمن دون أن يتزحزح النظام، باتت التنسيقيّات تنتقل إلى حالة أكثر تنظيماً عن طريق دخول الداعمين على الخط، وهم في الغالب من رجال الأعمال الذين بدؤوا باجتذاب "التنسيقيّات" إليهم عن طريق تقديم الدعم بتوفير أجهزة التصوير والبث الفضائي والاتصالات، وصولاً إلى تمويل المشافي الميدانيّة لمعالجة المتظاهرين بل والتكفّل بإخراجهم للعلاج في المناطق الآمنة، وقليل من هؤلاء الداعمين كان يعمل بجدية لقضيّة إسقاط النظام النصيري فقط، والغالب منهم من كان يحسب مقدار ما سيجنيه من قوّة ونفوذ لقاء كل ليرة يدفعه من جيبه أو يمرّ عبر يده، وذلك كما أسلفنا لأن الغالب على التفكير آنذاك أن النظام لن يستمر طويلاً، وبالتالي تسابق أصحاب النفوذ، ووكلاء الأحزاب، وأهل الارتباطات الدوليّة لتعزيز نفوذهم في صفوف "الثوار" عن طريق امتلاك ناصية أكبر قدر ممكن من "التنسيقيّات" كونها الواجهات المشهورة "للثوار"، فبدأت محاولات جمع التنسيقيّات في أطر أوسع تحت مسمّيات مختلفة من قبيل "تجمّعات الأحرار" أو "مجالس قيادات الثورة" أو "اتحادات التنسيقيّات" أو "لجان التنسيق" أو "المجالس الثوريّة" وغيرها من الأسماء أو الأوصاف التي زُعم أن الغاية منها تنظيم "العمل الثوري" وحشد القوى بشكل أفضل لتسريع عمليّة إسقاط النظام، وفي الحقيقة كانت تُخفي تحتها مساعي بعض النافذين والمدعومين من قوى محلّية أو خارجيّة لاكتساب نفوذ في صفوف المعارضة، والاستفادة من هذا النفوذ مستقبلاً في تحصيل المكاسب في أي عملية سياسيّة ستجري بعد سقوط النظام، أو على الأقل تحصيل حصّة من الدعم الخارجي الذي كثر الكلام حول إمكانية تقديمه من قبل بعض الدول إلى "الثورة السوريّة"، ومما يثبت ذلك التزامن بين مرحلة التجمّعات هذه وتشكيل مجالس المعارضة في الخارج بدعم من عدّة دول، في سعي من كلٍّ منها لإيجاد قوة تعزّز من نفوذها في داخل "سوريا" في مرحلة ما بعد إسقاط النظام النصيري، بناءً على الفخ السياسي الذي وقع فيه المتظاهرون، وأصحاب التنسيقيّات، وداعموهم، وهو أن النظام سيسقط سريعاً.

فمن لم يكن له دعم من قوى خارجيّة أو حضور إعلامي قوي أو اسم معروف في صفوف المعارضة في الخارج، كان الطريق الوحيد أمامه للظهور والمشاركة في الاجتماعات والمؤتمرات هو إثبات القوّة في الداخل عن طريق ادعاء تمثيل المتظاهرين و"الحراك الثوري" عن طريق تجمّعات التنسيقيّات التي سبق الحديث عنها.

## اللصوص يستعجلون القسمة

وهكذا ظهر كلٌّ من "المجلس الوطني" و"الائتلاف الوطني"، ووُزِّعت المقاعد فيهما على "معارضي الخارج" المدعومين من دول أو منظمات وأحزاب، و"معارضي الداخل" الذين سافروا إلى تركيا لاستلام المناصب باسم المتظاهرين، وكانوا مجموعة من الكذّابين، الذين لا تأثير لهم على الداخل، وليس وراءهم أي مجموعات أو فصائل فاعلة على الأرض، ومصادر قوّتهم تنحصر في الارتباط بمخابرات الطواغيت في دول الجوار، والحضور الذي تؤمّنه لهم وسائل إعلام الطواغيت على الشاشات، والدعم المالي الذي تمر قنواته من تحت أيديهم فيسرقون منه الكثير، وما يتبقّى منها يقوّون به نفوذهم عن طريق ابتزاز "معارضي الداخل" فيكونون تبعاً لهم، كيف لا وهم الذين كانوا يلعبون دوماً دور الساذج الذي يصعد جميع اللصوص على كتفه ليصلوا إلى مآربهم.

كان المتظاهرون كأفراد يعملون بطريقة عشوائية، فهم يصرخون "الشعب يريد إسقاط النظام" ويموتون في سبيل ذلك دون أن يعرف أغلبهم ماذا سيأتي بعد إسقاطه؟ أو ما هو شكل النظام الذي يجب أن يبنى بعد إسقاط هذا النظام؟

وجاء أهل التنسيقيّات فوجد بعضٌ منهم في هذه "الثورة" فرصة للشهرة والظهور الإعلامي، فصعدوا على أكتاف المتظاهرين السذج لينالوا ألقاب "قادة الحراك الثوري" وما شابه ذلك مقابل تقديم خدمة الترويج الإعلامي لنشاطاتهم، وبمقدار ما يتوفّر لدى هذه التنسيقيّة أو تلك من قدرة على تصوير المظاهرات وإيصالها إلى الفضائيات وبحسب عدد متابعي صفحاتها على شبكات التواصل، ووجد الانتهازيّون في سذاجة "أهل التنسيقيّات" ورخص الثمن الذي يطلبونه مقابل عملهم والمتمثّل بالشهرة والظهور الإعلامي فرصة في تحقيق النفوذ والقوة في صف المعارضة التي كان يجري تنظيمها في الخارج، فقاموا بدعم البعض من "أهل التنسيقيّات" بالوسائل التي تساعدهم في عملهم، لقاء الحديث باسمهم في الخارج، وقبض المعونات والدعم المالي باسمهم من الجهات الداعمة.

وهكذا نشأت التجمّعات "الثوريّة" التي قدّمت نفسها كممثل عن أهل الشّام عموماً، وهيأت نفسها لتقاسم السلطة في دمشق بعد "رحيل النظام"، وتشكّل كلّ من "المجلس الوطني" و"الائتلاف الوطني" على أساس هذه التجمّعات التي نال كلٌّ من تلك التجمعات عدداً من المقاعد فيهما.

شُكّل "المجلس" و"الائتلاف" على أسس علمانيّة ديموقراطيّة شركيّة، وقَبلت التجمّعات بالدخول في هذه الكيانات الشركيّة، رغم أن الكثير من "أهل التنسيقيات" و"قادة التجمّعات" كانوا يقدّمون أنفسهم على أنّهم "إسلاميّون" يريدون إسقاط (بشار الأسد) ليقيموا الدولة الإسلامية، فإذا بهم مع أول فرصة للحصول على ما يشبه المنصب يسقطون في شرك الديموقراطيّة وموالاة العلمانيّين والملحدين، مع التبرير بنفس الأسلوب الذي تستخدمه كل الأحزاب التي سقطت في أوحال المجالس من قبلهم، وهو عدم ترك الساحة بيد العلمانيّين، وضرورة وجود "الأمناء" داخل هذه المجالس كي يمنعوا اللصوص من سرقة المعونات وضمان إيصالها للمحتاجين في الداخل، وغير ذلك من التبريرات السخيفة.

اختفت التنسيقيّات بتصاعد العمل المسلّح ضد النظام، وظهرت مكانها الكتائب المسلّحة على الأرض، أمّا "أهل التنسيقيّات" فقد تحوّل قسم منهم إلى قادة عسكريّين، وقسم آخر كان منذ زمن من خلف الحدود يلعب دور السياسي، وقسم منهم رضي أن يقتصر نشاطه على العمل الإغاثي ما دام يؤمِّن له قوت يومه ويسدّ رمقه■

4

# معركة الجماعة والفصائل

## فوضى الفصائل المسلّحة في الشام

لم يكن للقتال ضدّ النّظام النّصيريّ خطّة مسبقة أو استراتيجيّة موضوعة، وإنّما تصاعد تحت تأثير ردّ فعل الأهالي على هجمات النّظام في محاولته إخماد الثّورة التي خرجت ضدّه، فبعد المجازر التي ارتكبها ضدّ المتظاهرين في مناطق مختلفة من البلاد، صار النّظام يقوم بحملات مداهمة على الأحياء والقرى لاعتقال النّاشطين والمتظاهرين، ومنذ الأيّام الأولى وجد المتظاهرون القليل من السّلاح الخفيف، وخاصّة في المناطق ذات البعد العشائري، والمناطق الحدوديّة التي ينشط فيها المهرّبون، حيث بدأ الأهالي شيئاً فشيئاً يتصدّون للحملات الأمنيّة ببنادق الصيد وقليل من بنادق الكلاشنكوف، حتى وصل الأمر ببعض المناطق أن هوجمت حواجز النّظام ونقاطه الأمنيّة من قبل مجموعات من الشبّان المسلّحين الذين كانوا يرافقون المظاهرات لحمايتها من هجمات محتملة من أجهزة أمن النظام النّصيريّ، بل وبلغت هذه الهجمات حدّ إسقاط بعض القرى والبلدات البعيدة، وإخراج عناصر النظام منها، كلّ هذا تمّ دون أن تكون هناك تنظيمات حقيقيّة أو فصائل مسلّحة، بل اتّخذت تلك العمليّات العسكريّة شكلاً متطوّراً من عمل "التنسيقيّات" والمتظاهرين، حيث كانت المظاهرات هي الهدف الذي يسعون إلى الحفاظ عليه، في ظل انخداعهم بشعارات "السّلميّة" وتجربتَي "الثورة التونسيّة" و"الثورة المصريّة"، في حين كانت التّجربة اللّيبيّة التي لم تحسم حينئذ أمراً بعيداً عن تصوّراتهم.

تبلوّر العمل المسلّح ضد النّظام النّصيريّ شيئاً فشيئاً تحت تأثير عوامل متعدّدة أهمّها:

**١- التطوّر الطبيعي للعمل المسلّح:**

مع اشتداد ضربات النظام المتمثّلة بالهجوم على المظاهرات وساحات الاعتصام، وحملات المداهمة على الأحياء والقرى لاعتقال المتظاهرين، وازدياد أعداد المطلوبين أمنيّاً للنظام، بات التوجّه إلى حمل السّلاح يزداد وضوحاً، وبالتالي زادت الحاجة لتوفّر السّلاح، وتوفير الحدّ الأدنى من التنظيم للمقاتلين، فظهرت المجاميع في القرى والبلدات، وداخل أحياء بعض المدن، دون أن تكون لها أسماء أو هياكل حقيقيّة، وتزعّمها في الغالب من استطاع تأمين بعض قطع السّلاح والذّخيرة، فاشتراها من ماله الخاص أو بأموال مجموعة من الأهالي، أو من تبرّعات التّجار والأثرياء ، وهكذا ظهرت هذه "الكتائب الثّوريّة"، إلى جانب "تنسيقيّات الثّورة"، وظهر مصطلح "الثوّار" ليزاحم "المتظاهرين" على تصدّر المشهد الإعلاميّ.

**٢- ظاهرة المنشقّين عن جيش النظام وأجهزته الأمنيّة:**

وقد بدأت هذه الظاهرة بشكلٍ فرديٍّ تطوّرت شيئاً فشيئاً إلى انشقاقات بالمئات من قبل العناصر الرّافضين للقتال في صفّ النّظام ضد الأهالي، أو الخائفين على أنفسهم من القتل في الاشتباكات. ومع تزايد أعداد المنشقّين بدأ ظهور الفصائل المسلّحة بشكلها البدائي، وأطلقت كلٌّ منها على نفسها اسم كتيبة، وأعلن كثير منها انضمامه إلى "الجيش الحر" الذي كان كياناً إعلاميّاً، أنشأه بعض الجنود المنشقّين، وجعلوا من العميد المنشق (رياض الأسعد) قائداً له، نظراً لرتبته، وتكاثرت الكتائب شيئاً فشيئاً، وكلّ من دخل هذا المشروع كان يؤمّل نفسه بأن تزداد الانشقاقات في جيش النّظام النّصيريّ حتى يصبح "الجيش الحر" مكافئاً لما تبقّى من الجيش النّصيريّ أو يحلّ محلّه، وكذلك يؤمّل نفسه بقوافل المساعدات العسكريّة، والجسور الجويّة، ودعم طائرات التّحالف الصّليبيّ، وكلّ ذلكم متوقف –بظنّهم– على تشكّل "الجيش الحر" واستلامه قيادة العمل المسلّح ضد النّظام النصيريّ، وهذا التحوّل الفكري نتج –وبلا شك– عن تطوّرات الأحداث في ليبيا، حيث تولّى طواغيت دول الخليج وطائرات التحالف الصليبيّ دعم "الثوار" وتوجيههم في حربهم على القذافي حتى تمكّنوا من إسقاطه.

عُيّن الضبّاط والعناصر المنشقين من جيش النظام، قادة للكتائب والفصائل التي كان لبعضها أسماء ترتبط بالإسلام، وتمّ اعتبارهم أبطالاً ، دون أن يفكّر أحد في نوع التّغير الذي طرأ على هؤلاء، فلا هم تابوا من عقيدة البعث، ولا هم أعلنوا البراءة من النّظام النصيري وعقائده، بل ولا هم غيروا لباسهم العسكري الذي انشقوا به عن جيش النظام، وظلوا يفاخرون بالرّتب العسكريّة التي حصلوا عليها مكافأةً لخدمتهم في جيش الطاغوت.

**٣- إفراج النّظام النّصيريّ عن المئات من معتقلي سجن صيدنايا.**

بعد عام من انطلاق المظاهرات ضدّه، أقدم النّظام النّصيريّ وفي خطوة مفاجئة على إطلاق سراح المئات من معتقلي صيدنايا، وكان ممن أُطلق سراحهم سجناء منتمون إلى المذاهب والتيّارات والأحزاب التي تصنّف على أنّها "إسلاميّة"، من "الإخوان المسلمين" و"السروريّة" و"السلفيّين" و"التحريريّين" و"الجهاديّين" وغيرهم.

كان في الإعلان عن إطلاق سراح هذه الدفعة الكبيرة من المعتقلين ذوي الأحكام القاسية غاية إعلاميّة في إظهار أنَّ النّظام يبدي ليونة تجاه مطالب الثّائرين عليه، ولكن حامت فيما بعد الكثير من الظّنون والمزاعم حول الغاية الحقيقيّة للنّظام من هذا "العفو"، خاصّة بسبب نوع من سيطلق سراحهم، فهم أولاً "إسلاميّون" وبالتّالي ممارستهم للعمل ضدّه خارج السّجن سيكون على هذا الأساس، ما سيحرم "الثّوار" من الأغطية العلمانيّة والسّلميّة التي تدثّروا بها أمام الغرب وطواغيت العرب، وهم ثانياً ممّن جرّب الخروج على النّظام وتحدّيه، وذلك في أحداث سجن صيدنايا حيث سيطر السجناء على السّجن لمدة ٩ أشهر تقريباً نتيجة عصيانهم وانتفاضتهم داخل جدران السّجن، رغم أن معظمهم رفضوها أو دخلوا فيها كارهين بحكم استهداف النّظام لجميع المساجين، ومنع قادة الانتفاضة للسّجناء لاحقاً من الخروج من الزنازين وتسليم أنفسهم للنّظام، وبالتالي فإن إمكانية دخولهم إلى صفّ المسلّحين أمر شبه مؤكّد، وتسلّمهم قيادة العمل أمر محتمل بحكم أعمارهم وتجاربهم وسمعتهم التي اكتسبوها من سجنهم ومن كونهم معارضين للنّظام.

رغم أنّ هذه الظنّون يمكن ردّها بأنّ النظام أفرج في الوقت نفسه عن المئات من العلمانيين، من المرتدين المنتمين إلى حركات "المجتمع المدني"، ومرتدي PKK والحركة الشعبية لتحرير كردستان، ومن مرتدي البعث اليميني، بالإضافة إلى الكثير من المحكومين بقضايا التهريب، والتجسس وغيرها، وكان الجامع بين كل المفرج عنهم أنّهم كانوا قد أنهوا ثلاثة أرباع مدّة حكمهم.

وفعلاً خرج هؤلاء من السّجون على دفعات، ومع تصاعد العمل المسلّح ضدّ النّظام بدأ الشباب يتجمّعون حول قسم من هؤلاء المفرج عنهم، بحكم الصّداقة أو القرابة أو الجوار، بحكم الثقة والانجذاب إلى السّمعة الكبيرة التي نالها معتقلو صيدنايا من انتفاضتهم، وشكّل هؤلاء كتائب مستقلّة فكانوا قادتها، أو انضمّوا إلى كتائب وفصائل موجودة، ليشغلوا فيها مناصب قياديّة، وقد كان لبعض منهم والذين أطلق عليهم فيما بعد لقب "مجموعة صيدنايا" دورٌ كبيرٌ في زيادة تمزّق السّاحة وتكاثر الفصائل واستحكام العداوات بينها، وفضلاً عن انتماءاتهم المختلفة، فإن أحداث السجن الطويلة العصيبة، جعلتهم ينقسمون إلى مجموعات وتيّارات، وزرعت بينهم من الخلافات والعداوات ما أوصلهم أحياناً إلى تهديد بعضهم بالقتل، فلا مجال للتلاقي بينهم خارج السّجن.

**٤- دخول المهاجرين:**

وبسبب الكمّ الكبير لهؤلاء المهاجرين، فقد دخل قسم منهم في الكتائب والفصائل الموجودة في السّاحة، وخاصّة ذات الصبغة "الإسلاميّة"، في حين اعتزل القسم الأكبر منهم هذه الفصائل مشكّلين بذلك العشرات من الكتائب والفصائل المستقلّة ذات الرايات الإسلاميّة، والتي أُسّس معظمها على أسس إقليمية، بل على أساس الدول التي جاؤوا منها، أو على أساس اللغة بالنسبة للمهاجرين العجم، وإن دخل فيها الكثير من الأنصار لاحقاً، وتركّزت هذه الظاهرة على وجه الخصوص في منطقة الشمال (حلب وإدلب والساحل).

وتحت تأثير هذه العوامل امتلأت ساحة الشام بالفصائل المتباينة، المختلفة عن بعضها شكلاً وحجماً ومنهجاً وتبعيّةً، حتى إنّ عدد هذه الفصائل بلغ بحسب بعض الإحصائيات أكثر من ٢٠٠٠ فصيل، ربمّا اشترك العشرات منها أحياناً بالاسم نفسه دون أن يكون بينها أي ارتباط، أمّا الألقاب فكانت عجيبة، فأعطت الفصائل لأنفسها ألقاب الألوية والجيوش والفرق رغم قلة عدد عناصر معظمها إلى حد يجعل المقارنة بين اسم الفصيل وحقيقة واقعه أمراً مثيراً للسخرية.

وفي ظل هذه الفوضى الكبيرة كان ينبغي على مجاهدي الدّولة الإسلاميّة أن يشقّوا طريقهم، ويحقّقوا الأهداف التي أوفدوا من أجلها إلى ساحة الشام.




# معركة الجماعة والفصائل 5

## الوسائل البدعية لتجميع الفصائل في الشام

في ظلّ غياب الشّريعة لا بدّ أن تسود الأهواء، ومن هجر السّنّة لا بدّ له أن يتّبع البدعة، ولمّا كانت شريعة الله كاملة تامّةً، وسنّة نبيّه بيضاء نقيّةً لا يزيغ عنها إلا هالكٌ، فإنّ الله عزّ وجلّ ما فرّط في الكتاب من شيءٍ، وما ترك لبني آدم أمراً من أمور دينهم – مهما صغُر– ليسيروا عليه بأهوائهم، أو يبتدعوا فيه ما شاؤوا، فكيف بأمرٍ هو من أعظم الأمور، وهو الجماعة؟

فقد جعل الله عزّ وجلّ من نصب الإمام السّنّي وطاعته في المعروف أساساً لجمع المسلمين على كلمة الحقّ، وفي ظلّ غياب الإمام الجامع للأمّة، ظهر "الأمراء" وقوي شأنهم، حتّى صاروا في أذهان أتباع كلٍّ منهم يَحلّون محلّ الإمام العامّ للمسلمين رغم كثرتهم، فكلٌّ منهم يأخذ صفة الإمام داخل فصيله أو كتيبته أو تنظيمه، أو في المنطقة التي يسيطر عليها، فيأخذ لنفسه البيعة العامّة، رغم أنّهم يدّعون أنّ بيعاتهم بيعات قتال، فيُلزمون المبايعين بعدم الخروج من الفصيل أو التّنظيم إلا أن يروا من "الأمير – الإمام" الكفر البواح، حتّى لو وجد فصيلاً خيراً من فصيله، أو حتّى لو وُجد الإمام العامّ لجماعة المسلمين، وفي ظل تقمّص كلٍّ من أمراء الفصائل الموجودة في الشّام لدور الإمام العامّ، وفي ظلّ عدائهم وحربهم على الإمام الشّرعيّ الشّيخ أبي بكر البغداديّ حفظه الله، لم يكن من الممكن لهذه الفصائل والتّنظيمات أن ترضى باتّباع الطّريقة الشّرعيّة في التوحّد والاجتماع رغم ادّعاءاتهم الدّائمة بحرصهم عليهما، ودعوتهم إليهما، وكان البديل أن تُبتدع طرقٌ جديدةٌ لجمع صفوفهم، وحشد طاقاتهم، وحلّ المشكلات النّاجمة عن تفرّقهم وتنازعهم، وكما هي الحالة في كلّ أهل البدع، فإنّهم لا يمكن أن يتّفقوا على بدعةٍ واحدة، وإنّما يبتدع كلٌّ منهم بدعةً على هواه ثمّ يدعو النّاس أو يلجئهم إليها، ولا يمكن أن يتّبع بدعة غيره.

ويمكننا تلخيص أهمّ البدع التي استحدثها أمراء الفصائل والفرق في الشّام، والتي أثبتت فشلها كلّها، وتبيّن للنّاس أنّها لم تكن سوى ألاعيب يخدع بها بعضهم بعضاً، أو هي طرقٌ لتحصيل الدّعم من الخارج، أو لفرض الهيمنة والوصاية على الدّاخل، بما يلي:

### ١- المجالس العسكريّة للجيش الحرّ:

في ظل التّكاثر اللّامحدود للكتائب المسلّحة التي أعلنت انتماءها للكيان غير الموجود في ساحة الواقع والمسمّى "الجيش الحرّ" (الذي أنشئ في شعبان ١٤٣٢ هـ)، وتزايد حالات الانشقاق من جيش النّظام النّصيريّ، وخروج ضبّاطٍ من رتبٍ عاليةٍ إلى خارج البلاد، وتأسيسهم كيانات قياديّة أعلى من الكيان الذي شكّله (العقيد رياض الأسعد)، من قبيل "المجلس العسكريّ الثّوريّ الأعلى" (في ربيع الأول ١٤٣٣ هـ) بقيادة (العميد مصطفى الشّيخ) و"القيادة العسكريّة العليا المشتركة" (في شوال ١٤٣٣ هـ) التي باتت فيما بعد تمثّل وزارة الدّفاع في "الحكومة المؤقّتة" التي شكّلها "الائتلاف"، وبالتّالي محاولة كلٍّ من هذه الكيانات الجديدة فرض سيطرتها على العمل المسلّح في الشّام – ومن ورائها طبعاً الدّول العربيّة والغربيّة الدّاعمة لها – عن طريق ربط كلِّ الكتائب والفصائل المقاتلة في مجالس عسكريّةٍ مناطقيّةٍ وإقليميّةٍ، بحيث يكون على رأس كلِّ مجلسٍ منها ضابطٌ منشقٌّ من جيش النّظام حصراً، وذلك مقابل أن تحصل الكتائب والفصائل بناءً على أحجامها وحجم نشاطها على الدّعم والتّمويل والتّسليح والتّذخير من تلك المجالس.

فكانت حقيقتها أطرافاً يخدع بعضها بعضاً، فالضّبّاط المشرفون على توزيع السّلاح والذّخيرة بكافّة مستوياتهم كانوا بالغالب فاسدين، حيث أنّهم انشقّوا حديثاً من جيش النّظام النّصيريّ، المعروف بفساد ضبّاطه فضلاً عن رِدّتهم، فكان هؤلاء الضّباط يبيعون السّلاح للكتائب التي تدفع رشىً أكبر لهم بغضّ النّظر عن حقيقة وجودها على الأرض وحجمها وطبيعة نشاطها، وبالمثل كانت أكثر الكتائب المنضمّة إلى هذه المجالس عبارةً عن تجمّعاتٍ شكليّةٍ ليس لها أيُّ تأثيرٍ أو نشاطٍ على الأرض، التي عُرفت بالاقتصار على تصوير بعض التّمثيليّات لمعارك مفتعلة، وإطلاقات الهاون التي لا يُعرف أين حدثت، وبناءً هذا التّصوير تحصل على الدّعم والتّمويل.

ولكن رغم حقيقة هذا الوجود الشّكليّ لهذه المجالس، فإنّ الكتائب التي انضمّت إليها قد أوقعت نفسها في الرّدّة، بانضمامها إلى كيانات تعلن تأييدها لقوى طاغوتيّة مثل "المجلس الوطنيّ" و"الائتلاف الوطنيّ"، وكذلك إعلانها الموافقة على تبنّي الدّيموقراطيّة والعلمانيّة بعد إسقاط النّظام النّصيريّ.

ومع انخفاض وتيرة الدّعم العسكريّ المقدّم لهذه المجالس العسكريّة، وبظهور تجمّعاتٍ عسكريّةٍ تمثّل قوى لها وجودٌ قويٌّ على الأرض، وتحت تأثير حرب الدّولة الإسلاميّة عليها وبيانها لكفر تلك المجالس وردّتها، فقد اختفت المجالس العسكريّة تقريباً من السّاحة، بل واختفت أسماء أغلب الكتائب التي كانت منضوية تحتها.

### ٢-الجبهات:

فضلاً عن مشابهتها "جبهات" الضّرار التي نشأت في العراق بعد إعلان (دولة العراق الإسلاميّة) في المسمّى، فإن "الجبهات" التي أُنشِئت في الشّام بعد إعلان (الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام) شابهتها في الغاية من إنشائها، وهي صدّ النّاس عن الانضمام إليها، وتحشيد القوى ضدّها، والتّحضير لقتالها، وكذلك لطرح هذه "الجبهات" كقوّة حقيقيّة على الأرض ذات فعاليّةٍ في قتال الجيش النّصيريّ وذات قيادة موجودة في الدّاخل، وبالتالي احتكار تمثيل "الثّورة السّوريّة" ضدّ المجالس العسكريّة الشّكليّة التي تتلقى الدّعم دون أن يكون لها دورٌ ملموسٌ في المعركة، وأغلب قياداتها موجودون بعيداً عنها في فنادق تركيا، وكان من أبرز هذه "الجبهات" ما أطلق عليه "جبهة أحرار سوريا" (في شوال ١٤٣٣ هـ)، والتي لم تدخل حيز الواقع، تلاها تشكيل "الجبهة الإسلاميّة" (مقابل الدّولة الإسلاميّة!) (في محرّم ١٤٣٤ هـ) والتي ضمّت عدّة فصائل أهمّها (جيش الإسلام، وصقور الشّام، وأحرار الشّام)، ولم تكن هذه الجبهة تجمّعاً حقيقيّاً بمقدار ما يمكن تصويرها بهيئة تنسيقٍ لا أكثر، فالفصائل التي شاركت في هذه "الجبهة" لم تعلن ذوبانها في التّجمّع الجديد، بل حافظ كلٌّ منها على وجوده وقيادته وعمليّاته المستقلّة، بل وحتّى اسمه ورايته وشعاره إلى جانب ما يرمز إلى انضمامها إلى "الجبهة الإسلاميّة" ولم يعيّن أحد قادة الفصائل قائداً عامّاً عليها، بل جرى تقاسم المناصب بينهم، فغدا(زهران علوش قائد "جيش الإسلام" مسؤولاً عسكرياً ، حسّان عبّود قائد "أحرار الشّام" مسؤولاً سّياسيّاً، محمّد عيسى الشّيخ قائد "صقور الشّام" مسؤولَ مجلس الشّورى...).

وقد اقتصر دور هذه "الجبهة" على حشد الفصائل المنضوية تحتها لقتال الدّولة الإسلاميّة في إطار الخطّة الشّاملة لصحوات الشّام التي نُفّذت في (صفر ١٤٣٤ هـ)، ونلاحظ أنّ الفترة الفاصلة بين إعلان "الجبهة الإسلاميّة" وبين إعلان الصّحوات الحرب على الدّولة الإسلاميّة لم تتجاوز الشّهر والنّصف (٩ محرّم إلى ٢٢ صفر)، وبعد تحقيق هذه الغاية من التّجمّع عاد كلٌّ من قادة هذه الفصائل ليعمل على هواه، وظهر جليّاً أنّ هذه الجبهة لا وجود لها إلا في البيانات التي تنشر على شبكة الإنترنت، وفي حين نجح قادة "أحرار الشّام" في ضمّ عدّة فصائل كانت ضمن "الجبهة الإسلاميّة" إلى صفوف حركتهم، بقي قسمٌ منها مستقلّاً وخاصّة من يتبعون طاغية الغوطة الشّرقيّة (زهران علوش)، بل وظهرت تصريحات من كلا الطّرفين ضدّ الآخر في عدّة مواقف، ومع هذا لا زالت أطراف هذه "الجبهة" تحافظ على اسم "الجبهة الإسلاميّة" في بعض بياناتها وعلى شعارها في وسائل إعلامها، ربّما بسبب مطالب الدّاعمين الذين شُكّلت "الجبهة الإسلاميّة" بالأساس بناءً على طلبهم وشروطهم لتقديم

الدّعم.ثم تشكّلت "الجبهة الشاميّة" لتضمّ فصائل ريفي حلب الشّماليّ والغربيّ (في ربيع الأول ١٤٣٦ هـ) وذلك لتوحيد صفوفها في قتال الدّولة الإسلاميّة، دون أن يكون لهذا التّوحيد نتائج ملموسة على الأرض، بل وبقي كلٌ من فصائل هذه "الجبهة" يعمل باسمه الخاص، ويحتفظ بسلاحه ومقرّاته وقيادته المستقلّة.

## ٣- الهيئات "الشرعيّة"، ودُور "العدل":

وهذه التّجمعات من ألاعيب "جبهة الجولانيّ" لتجميع الفصائل تحت قيادتها بشكلٍ تدريجيٍّ وغير مباشر، فلمّا كانت المناطق الخارجة عن سيطرة النّظام النّصيريّ تفتقد لأيّ شكل من أشكال السّلطة الموحّدة، وحاجة هذه المناطق إلى ضبط الأمن وتقديم الخدمات، ونظراً لزعم أغلب الفصائل أنّها تريد تطبيق الشّريعة، اختُرعت هذه التّسمية "الهيئات الشّرعيّة" للدّلالة على المحاكم التي أنشأتها "جبهة الجولانيّ" وبعض الفصائل الأخرى على أساس التّشاركيّة، حيث يقدّم كلّ فصيلٍ عدداً من القضاة، ويشارك بعددٍ من العناصر في "القوّة التّنفيذيّة" التي تنفّذ أحكام القضاة، وكذلك يقع على عاتقها جزء من العبء الماليّ لتسيير هذه "الهيئات" التي بدأت رويداً رويداً توسّع من صلاحيّاتها، وتسعى للاستيلاء على أكبر كمٍّ ممكن من الموارد المتوفّرة في المناطق التي تعمل ضمنها، بزعم تأمين الاحتياجات الماليّة لتسيير شؤون هذه المناطق عبر المؤسّسات الخدميّة والأمنيّة المختلفة، بل وحتّى العسكريّة التي ألحقت بها، حيث قامت "هيئة حلب" بالسّيطرة على (معبر كراج الحجز) الذي كان يمثّل - في وقتها - الرّئة الوحيدة للمناطق الواقعة تحت سيطرة النّظام من المدينة، وذلك للاستيلاء على الرّسوم التي كانت تفرض على البضائع الدّاخلة إلى هذه المناطق، كما بدأت "هيئة المنطقة الشّرقيّة" بالسّيطرة على آبار النّفط في ولاية الخير بزعم تمويل العمل العسكريّ في المدينة، وبالتّالي إعلان الحرب على كلّ الفصائل والعشائر التي تقع الآبار تحت سيطرتها.

انهار مشروع "الهيئات الشّرعيّة" الذي لم يكن أصحابه يرجون منه وجه الله وتحكيم شريعته كما كانوا يزعمون لعدّة أسباب، أهمّها أنّ هذه الهيئات لم تكن تحكم بشرع الله عزّ وجلّ وإنما بأهواء القضاة المختلفين عقيدةً وديناً، فمنهم الصّوفيّ القبوريّ، ومنهم المرجئ الجهميّ، ومنهم "السّلفيّ الجهاديّ"، ومنهم من كان قاضياً أو محامياً في محاكم الطّاغوت ولم يتبْ من ردّته، وكلٌّ منهم يحكم بما يؤمن ويعتقد، وفضلاً عن هذا فإنّ قرارات هذه الهيئات ومحاكمها كانت مسلّطة على المستضعفين من النّاس، دون عناصر الفصائل المنتميّة إليها، كونهم تحت حمايتها، أمّا الكتائب القويّة التي لم تشترك في هذه الهيئات فإنّها كانت هي وعناصرها بعيدةً عن أيّ شكلٍ من أشكال المساءلة والحساب مهما بلغ إجرامها، وكذلك ساد التّنازع بين الفصائل على الموارد الماليّة الواقعة تحت تصرّف الهيئات، وبالتّالي انهارت "هيئة حلب" أولاً، خاصّة بعد إعلان الدّولة الإسلاميّة، وتبعتها "هيئة الشّرقيّة" التي حُوِّلت إلى إطارٍ لتنظيم العمل العسكريّ ضد الدّولة الإسلاميّة، وكان أوّل أعمالها العسكريّة الهجوم على جنود الدّولة الإسلاميّة في ولاية الخير للسّيطرة على الموارد التي صارت تحت سيطرتهم، ثم انهارت هذه الهيئة وزالت بزوال "جبهة الجولانيّ" والفصائل المتحالفة معها، وهروبهم من المنطقة الشّرقيّة باتجاه درعا والقلمون.

وبانهيار "الهيئات الشرعيّة"، وانسحاب "جبهة الجولانيّ" منها بعد أن ساءت سمعتها وكرهها النّاس، ابتُدعت لعبة تجميع جديدةٌ أطلق عليها اسم "دار العدل"، للإشارة إلى المحاكم التي أنشأتها "جبهة الجولانيّ" في مناطق الشّمال وحوران وكان لها فيها سطوةٌ ونفوذٌ أشدّ، بل وصل الأمر بهم أن يهدّدوا بالحرب كل من يرفض الانضمام والخضوع لهذه المحاكم التي لم تكن بأفضل من محاكم "الهيئات الشّرعيّة"، لتعود "جبهة الجولانيّ" إلى الانسحاب منها، كما حدث مع "دار العدل في حوران"، التي أعلنت لاحقاً التزامها بتطبيق "القانون العربيّ الموحّد" الوضعيّ الذي أصدرته "جامعة الدّول العربيّة"، فانهارت هذه المشاريع البدعيّة، التي باتت في حقيقتها مشاريع ردّةٍ عن الدّين وامتناع عن شرائع الإسلام، بل واستبدالها بشرائع الكفر الظاهرة لاحقاً، وظل أصحابها يبحثون عن وسائل بدعيّةٍ جديدةٍ لجمع الفصائل إليهم، والتوحّد تحت لوائهم، وكلٌّ منهم يظنّ أنّه يخدع صاحبه، وفي النّهاية يكتشف الجميع أنّهم خُدعوا بهذا المشاريع فيتركونها ويعلنون فشلها.

## ٤- جيوش "الفتح":

وهو أحدث ألاعيب "جبهة الجولانيّ" لتجميع الفصائل تحت قيادتها بشكل غير مباشر، وهو في الأساس تجمّعٌ عسكريٌّ لتنسيق العمل العسكريّ ضدّ النّظام النّصيريّ، مكوّنٌ من فصائل مختلفةٍ من حيث التّوجّهات والأهداف بل وحتى مصادر الدّعم، رغم أنّ الكثير من العارفين بالوضع يقولون أنّ مصدر دعمه العام (تركيّ – قطريّ)، وبعد تمكّن هذا "الجيش" من السّيطرة على مدينة (إدلب) حاولت "جبهة الجولانيّ" مجدّداً تحويله إلى حكومةٍ مصغّرةٍ تحت اسم "هيئة الفتح" لها مؤسّساتها ومحكمتها، ولكنّ النّزاع بين فصائل هذا الجيش كان أكبر من أن يمكن تجاوزه إذ سرعان ما طُرح تحويل هذا "الجيش" إلى أداةٍ لقتال الدّولة الإسلاميّة، الأمر الذي رفضته بعض فصائله التي تريد تركيز جهدها على قتال النّظام النّصيريّ أو أنّها تريد تأجيل المعركة معها، وكذلك فإنّ الخلافات والنّزاعات تشقّ صفوف هذا التّجمّع بخصوص خطط بعض الفصائل للتفاوض مع النّظام، أو عَرْض خدماتها على التّحالف الصّليبيّ في قتال الدّولة الإسلاميّة، وعَرْض فصائل أخرى منه على طواغيت آل سلول تقديم آلاف المقاتلين للعمل تحت إمرتهم في حربهم في اليمن، بل قد أعلنت بعض فصائله انسحابها من "جيش الفتح" الذي صار في حكم المتوقف عن العمل واقعيّاً، وتجري الآن جهود كبيرة من الوسطاء لإعادة لملمته بدعوى التّصدي للحملة الرّافضيّة الرّوسيّة على الرّيف الجنوبيّ لحلب.

## خاتمة:

لم تحقّق الفصائل الاجتماع رغم مزاعمها أنّها على الحقّ، وحقّقت الدّولة الإسلاميّة الاجتماع والاعتصام والاتحاد وغاب في صفوفها –بحمد الله– الفرقة والأحزاب، رغم مزاعم الصّحوات أنّها على الباطل، فكان حال الدّولة الإسلاميّة معهم –بحمد الله– مطابقاً للحديث (خطّ لنا رسولُ الله صلّى الله عليهِ و سلّمَ خطّاً ثمَّ خطّ عن يمينهِ وعن شمالهِ خُطوطاً ثمَّ قالَ: هذا سبيلُ اللهِ وهذهِ السُّبلُ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) [رواه أحمد والنّسائي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه]، وسبيل الله في أمر الجماعة هو بيعة الإمام السّنّي وطاعته في المعروف، والسّبل هي الفصائل والتّنظيمات، التي تفرّق الأمّة وتمزّقها إلى أحزاب متنازعة متحاربة، في الوقت الذي تزعم فيه أنّها حريصةٌ على وحدة المسلمين وهداهم، كما في حديث حذيفةَ بن اليمان –رضيَ الله عنه– الشّهير (قلتُ: هلْ بعدَ ذلكَ الخيرِ مِنْ شرٍّ؟ قالَ: "نعم دعاةٌ على أبوابِ جهنّمَ مَنْ أجابهُم إليها قَذفوه فيها"، قلتُ: يا رسولَ الله صفْهُم لنا، قالَ: "همْ مِنْ جِلدتنا ويتكلمونَ بألسنتنا"، قلتُ: فما تأمُرني إنْ أدرَكَني ذلك؟ قالَ: "تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامهم"، قلتُ: فإنْ لم تكنْ جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قالَ: "فاعتزلْ تلكَ الفرقَ كلَّها ولو أنْ تعضَّ بأصلِ شجرةٍ حتَّى يدركك الموتُ وأنتَ كذلك" [رواه البخاريّ ومسلم]، ففي هذا الحديث جعل عليه الصّلاة والسّلام جماعة المسلمين واحدةً فقط وربطها بالإمام وأمر بالالتزام بهما، وفي مقابلهما جعل الفِرَق، وهي متعدّدة، وأمر باعتزالها كلّها.

هذه الفرق (والتي هي في مثالنا هذا فصائل الصّحوات في الشّام) أدّى بعدها عن السّنّة، ومخالفتها الجماعة إلى الوصول بها إلى الرّدّة عن دين الله بتولّيهم للمرتدّين والطّواغيت في حربهم على الدّولة الإسلاميّة، وبامتناعهم عن تطبيق أحكام الله في المناطق التي وقعت تحت سيطرتهم، وبإعلان بعضهم صراحةً موافقته على العلمانيّة والدّيموقراطيّة وغيرها من شعائر الكفر.

لقد حرص أهل الإسلام على تسمية الفرقة النّاجية بأنّهم (أهل السّنّة والجماعة) للدّلالة على الارتباط بين السّنّة (التي يخرج منها أهل البدع الاعتقاديّة) والجماعة (والتي يخرج منها أهل الخروج على الأئمّة)، وأيّ انحرافٍ في إحدى الصّفتين سيؤدّي غالباً إلى انحراف في الصّفة الأخرى من صفات الطّائفة النّاجية، وهذا ما وقعت فيه الكثير من الطّوائف على امتداد التّاريخ، فمن خرج عن السّنّة في الاعتقاد لم يطل به الوقت حتى خرج عن جماعة المسلمين في الانتماء، ومن خرج على جماعة المسلمين وإمامهم لم يطل به الوقت حتى خرج عن معتقد أهل السّنّة■

# معركة الجماعة والفصائل 6
## تجارب أهل الجماعة مع الفصائل

كان إعلان دولة العراق الإسلاميّة واحداً من أهمّ الأحداث في تاريخ المسلمين الحديث، لعدّة أسباب منها القيام بالواجب الشّرعيّ المضيّع، وقطع الطّريق على لصوص الجهاد الذين كانوا يحضّرون أنفسهم للاستيلاء على ثمرات تضحيات المجاهدين خاصّة مع ظهور بوادر الفشل الأمريكيّ وكثرة التّوقّعات حول رغبته في الانسحاب من العراق، وكذلك لأنّ هذا الإعلان كان يحمل في طيّاته الانتهاء من مرحلة الفصائل التي مزّقت الجهاد في العراق؛ بسبب المرجعيّات المختلفة لهذه الفصائل، ورؤاها المتعدّدة بخصوص مستقبل الجهاد ومستقبل العلاقة مع الأطراف المختلفة في السّاحة العراقيّة.

هذا الإعلان لم يكن للفصائل أن تفهمه الفهم الصّحيح على أنّه دعوةٌ للاجتماع والاعتصام بحبل الله عن طريق الوسيلة الشّرعيّة ألا وهي إقامة جماعة المسلمين ونصب الإمام لها الذي يجتمع عليه المسلمون كلّهم، ولكنّها فهمتها من منطلق الأحزاب والدّيموقراطيّات التي أُشربتها قلوبهم وإن أنكرتها ألسنتهم، فلم يكن لهم ليتقبّلوا أن يدعوا إلى جماعةٍ غير فصيلهم ولو كانت جماعة المسلمين، ولا لإمامٍ غير أنفسهم ولو استكمل كلّ شروط الإمامة الشّرعيّة، فأعلنوا الحرب على الدّولة الإسلاميّة، وأكّدوا بأفعالهم أنّ الثّابت الوحيد في عرفهم أنْ تبقى فصائلهم، وكلّ ما سوى ذلك متغيّراتٌ تبعٌ للحفاظ على ذلك الثّابت، فصار المحتلّ الأمريكيّ الذي كانوا يقاتلون لإخراجه من العراق حليفاً مقرّباً ضدّ العدوّ المشترك وهو الدّولة الإسلاميّة، وصار الرّوافض الذين كانوا عملاء للمحتلّ "شركاء في الوطن" بل حتّى "شركاء في العمليّة السّياسيّة"، وبات المجاهدون من جنود الدّولة الإسلاميّة هم العدوّ الوحيد الذي يجب القضاء عليه "للحفاظ على الجهاد في العراق"، وزيادةً في الإثم قاموا بتشكيل تجمّعاتٍ بدعيّةٍ مرتدّةٍ لصدّ النّاس عن الدولة الإسلامية وحشد القوى لقتالها.

وكان لتمسّك قادة دولة العراق الإسلاميّة وعلى رأسهم الشيخان (أبو عمر البغداديّ وأبو حمزة المهاجر) تقبّلهما الله بهذه الدولة ورفض التّراجع عنها بل وحتى رفض أيّ تفاوضٍ مع خصومها في شأن بقائها الأثر الكبير في منع العودة بها إلى مرحلة الفصائل، رغم أنّها أضعفت كثيراً من حيث العدد والعدّة وانحازت من أغلب المناطق التي كانت تحت سيطرتها، لكن كان بقاء الدّولة الإسلاميّة ثابتاً لا يقبل الشّيخان التّفاوض حوله مع العدوّ والصّديق على حدٍّ سواء، حيث أطلق وزير الحرب تصريحه الشهير"إن قلوبنا مفتوحة لكل نقد وتعديل يخص هذا المشروع، فقط لا يمكن الرجوع عن أمرين: الدولة وأميرها، لأنا اجتهدنا ونحسب فيهما الخير والبركة والفلاح". وأطلق أمير دولة العراق الإسلاميّة الشّعار المعروف "باقية" لقطع النّقاش في هذه المسألة.

### خبرات العراق وفصائل الشّام

دخل مجاهدو دولة العراق الإسلاميّة إلى الشّام مثقلين بالتّجارب المريرة مع الفصائل المسلّحة في العراق، نصرةً للمسلمين في وجه الطّاغوت النّصيريّ من جهة، ولتنشيط ساحتها من جهة أخرى لتكون بذلك عمقاً استراتيجيّاً لساحة العراق وامتداداً لها ، في إطار وحدة جهاد الأمّة المسلمة، لكنّ الفصائل أبت ذلك.

كان قادة الدّولة الإسلاميّة يعلمون علم اليقين أنّ هذه الفصائل لن تترك الدّولة الإسلاميّة دون قتال، ولكنّ الخيار كان بتأجيل قتالهم المؤكّد ما استطاعوا ذلك. وفي نفس الوقت كان أعداء الدّولة الإسلاميّة من الصّليبيّين وأنصارهم من الطّواغيت والأحزاب المنحرفة يضعون نصب أعينهم القضاء عليها وقتل مشروعها في الشّام في مهده بالأسلوب ذاته الذي طُبّق في العراق، فكثرت الزّيارات التي يقوم بها المسؤولون الأمريكيّون إلى تركيا للالتقاء بقادة الفصائل، وفي الوقت ذاته بدأت مشاريع لإنشاء قوّاتٍ مدرّبةٍ أمريكيّاً في الأردن لقتال الدّولة الإسلاميّة.

وكان من فضل الله على الدّولة الإسلاميّة وما حمله قادتها من خبرة في التّعامل مع الفصائل بناءً على تجاربهم في العراق، والتي علّمتهم أنّ التّهاون في شأن ردّ عاديتها، وتوضيح حكمها الشّرعيّ مفسدةٌ للدّين، مضيعةٌ للجهاد، فبيّنوا للنّاس عامّةً ولجنودهم خاصّةً حكم قتال هذه الفصائل، وشدّ المجاهدون وقادتهم لقتالها مآزرهم، ولم يسقطوا السّيف من أياديهم إلا والفصائل مكسورون، مدحورون، والدولة الإسلاميّة ممكّنة في جزءٍ كبيرٍ من الشّام تطبّق شرع الله وتقيم حدوده فيه.

### لا جماعات مع الجماعة في العراق

مع فتح الموصل وتساقط أجزاءٍ واسعةٍ من العراق بيد المجاهدين، وزوال قبضة الرّافضة عنها، لم تجد الدّولة الإسلاميّة صعوبةً في توحيد صفّ المسلمين هناك خاصّةً بعد إعلان الخلافة الإسلاميّة، والسّبب -بعد فضل الله- يعود إلى خلوّ السّاحة من الفصائل، فالفصائل التي كانت لها القوّة والشّوكة في بدايات الاحتلال الصّليبيّ الأمريكيّ للعراق أتلفت نفسها في قتال الدّولة الإسلاميّة، فتفكّكت وزالت ولم يبق منها إلا بيانات تُنشر على مواقع التّواصل من حسابات يديرها قادتها القابعون في رعاية الطّواغيت في "دول الجوار"، ولم يكن زوالها ناتجاً فقط عن خسائرها في قتال الدّولة الإسلاميّة، بل بانفضاض المقاتلين عنها، حيث تركها الكثيرون ممّن انخدعوا بها سنيناً عندما وجدوا أنفسهم في صفّ الصّليبيّين ضدّ من كانوا يعدّونهم إخوة الجهاد في الأمس، وكذلك انفضّ عنها الذين وجدوا في الانضمام إلى الصّحوات وإلى صفّ الرّوافض والصّليبيّين فرصةً أفضل لتحقيق المنافع من بقائهم في صفّ هذه الفصائل، خاصّةً في ظلّ حشد الفتاوى والتّصريحات من علماء السّوء الذين جعلوا من قتال دولة العراق الإسلاميّة واجب العصر، فزالت الفصائل في العراق، ورحل المحتلّ الصّليبيّ منه، وبقيت الدّولة الإسلاميّة تصاول الرّوافض سنين حتّى فتح الله عزّ وجلّ عليها الأرض.

إنّ تجربة الدّولة الإسلاميّة وخاصّةً بعد إعادة الخلافة الإسلاميّة قدّمت نموذجاً حيّاً عن الفرق بين حال المسلمين في ظلّ الجماعة عن حالهم في ظلّ الفصائل، وإن مقارنةً بسيطةً بين المناطق الخاضعة لحكم الدّولة الإسلامية في الشّام والأخرى التي تسيطر عليها الفصائل كفيلةٌ بتوضيح هذا الفارق.

إذ لم يكن ممكناً على سبيل المثال تطبيق شريعة الله بوجود الفصائل، لأنّ أيّ قضيّة يكون أحد أطرافها تابعاً لفصيل ما،لا يمكن حلّها إلا بمعركةٍ مع هذا الفصيل، في الوقت الذي يخضع كلّ النّاس في دولة الخلافة لسلطة الشّرع، ويحقّ للقضاة فيها استدعاء أيّ مدّعىً عليه مهما بلغت سلطته وليحاكم وفقاً لشريعة الله.ولا تزال الفصائل في المناطق التي تسيطر عليها من الشّام ترفض تطبيق شرع الله بدعوى عدم تمكّنها من الأرض، فأنشأ كلُّ فصيلٍ منها محكمةً خاصّة به، فضاعت حقوق العباد بين محاكم الأوغاد. ومن النّاحية العسكريّة، فإنّ ثبات الدّولة الإسلاميّة بفضل الله و هي تخوض حرباً عالميّةً بمفردها لم يكن ليتحقّق في ظلّ وجود الفصائل التي كرّرت تجربة الصّحوات بطريقة أو بأخرى.

### الجماعة والفصائل ... لن يتكرّر الخطأ

وبناءً على هذه التّجربة الطّويلة المريرة في التّعامل مع الصّحوات، أدرك قادة الدّولة الإسلاميّة، أن لا حلٌّ ممكنٌ مع الفصائل إلا بتفكيكها وإزالتها، حيث لا يمكن بأيّ حالٍ أن تنضمّ هذه الفصائل جميعها إلى مشروعٍ جامعٍ للأمّة، لأنّ كلاًّ منها يريد أن يكون قائداً للأمّة، إنْ لم يكن يرى في فصيله أنّه هو الأمّة، وكذلك بسبب استقواء أكثر الفصائل بالطّواغيت لتوفير الدّعم اللّازم لاستمرارها وبالتّالي خضوعها لشروط هؤلاء الطّواغيت التي لا يمكن أن تكون في مصلحة المسلمين.

فكان الخطاب الأخير للشّيخ العدنانيّ حفظه الله (قلْ للذين كفروا ستُغلبون) يحمل في طيّاته النّتيجة النّهائيّة لمصير الفصائل بعد قرنٍ من الزّمن راجت وكثرت فيه الفصائل في ظلّ غياب جماعة المسلمين، ولكنّ تجربة الفصائل وتعدّدها كانت كارثةً من حيث النّاتج العامّ، إذ ضاعت ثمرة الكثير من التّجارب الجهاديّة بسبب هذه الفصائل وتنازعها، وارتباط كثير منها بالطّواغيت، ودخول كثيرٍ منها في مشاريع تحالفاتٍ وائتلافاتٍ مع الطّواغيت لتحقيق مصالح هذه الفصائل، ولإضعاف خصومها، وما تجارب الشّام الأولى (ضدّ الطّاغوت حافظ الأسد) وأفغانستان الأولى (ضدّ الشّيوعيّين) والجزائر( ضدّ أبناء فرنسا) والعراق الأولى (ضدّ الصّليبيّين الأمريكيّين)، والشّام الحاليّة، إلا أمثلةٌ واقعيةٌ عن الكوارث التي أحلّتها الفصائل بالجهاد. وبذلك تنطلق الأمّة المسلمة نحو مرحلة جديدةٍ عنوانها (جماعة المسلمين) التي تقودها الخلافة الإسلاميّة نسأل الله لها النّصر والتّمكين■